

مؤسسة الشيخ عمي سعيد ثقافة . تربية . تراث

الأيام الدراسية العلمية:

من الشيخ عمي سعيد بن علي الجري [ت 927 هـ / 1521 م]
إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005 م]

المحاضرة الثالثة:

الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد
حياة ومواقف

إعداد:

أ. قاسم بن إبراهيم بلعديس⁽¹⁾

1- الأستاذ: قاسم بن إبراهيم بلعديس، خريج المعهد التكنولوجي للتربية بتيارت، أستاذ المواد الاجتماعية والإنسانية بمعهد عمي سعيد، وإكمالية جابر بن زيد بغرداية.

باسم الرحمن الرحيم

توطئة

1. يجب اعتبار ما تركته شخصياتنا الفاعلة من ميراث حضاري ملكا مشتركا بين جميع أفراد الأمة ، وليس حكرا على عائلة أو فئة أو طبقة أو قصر من القصور ، فذلك يشكل في الأخير محصلة تراكم مجهود حضاري مشرف لمجتمعنا ، يضاف لبنة إلى لبنات صرح البناء الشامخ للجزائر والعالم الإسلامي العربي والإنساني كله.
2. إن العبر المستخلصة يجب أن تشمل الإيجابيات لتثمينها والسلبيات لتفادي العثرات إذا أردنا أن نفتح آفاقا فسيحة أمام المجتمع ليتطور نحو الأفضل والأحسن وبما يختزل الجهد والوقت اللذين قد يضيعان في اجترار أخطاء وكبوات الماضي. ونضمن تواصل أجيال الأمة عبر عصورها فلا يقع الانفصام الذي قد يؤدي إلى التشتت والتهيان ثم الضياع - لا قدر الله - والعامل الذي يعتبر بغيره ولا يكون عبرة.

أولا: العوامل المؤثرة في شخصية الشيخ حمو عمي سعيد:

1- عراقة نسبه:

- أ. نسبته إلى المذهب الإباضي الذي كان مثله الأعلى في مبادئه المجسدة في سيرة علمائه وأئمتهم ، والقائم أساسا على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.
- ب. نسبته إلى جدّه الشيخ عمّي سعيد بن علي الجربي الخيري ، باعتباره رجل نهضة علميّة دينية اجتماعية اقتصادية لوائي مزاب ، فكان يعتبر نفسه سليلا له ، وجب عليه الاقتداء به في حمل لواء إحياء العلم من جديد ، والرفع من شأن الأمة ، وإزالة الغبن الذي ران عليها بفعل عهود التدهور والركود.

2- ظروف نشأته العائلية

- نشأ الشيخ أوّل ما نشأ عصامياً ، يعتمد على نفسه في رسم معالم مستقبله على هدى من تجاربه التي خاضها عبر دروب الحياة الوعرة ، في فترة محاض وتحوّلات عصيبة من تاريخ المنطقة خصوصا وتاريخ الجزائر والعالمين العربي الإسلامي عموما ، أوائل القرن العشرين الماضي وأواسطه.
- فكان لهذه العوامل بالغ الأثر في تشكّل شخصيته التي جعلت منه إنسانا متميّزا في مجتمعه نابغة بين أقرانه يريد أن يقدم شيئا معتبرا خدمة لمجتمعه وأمتّه.

ثانيا: ظروف نشأة الشيخ حمو عمي سعيد:

1- مولده:

ولد الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد بغرداية سنة 1324هـ / 1906م ، ولكنه لم يسجل في سجل الأحوال المدنية إلا في سنة 1911م هروبا من التجنيد الإجباري الذي كان سيفاً مسلطاً على رقاب الجزائريين من طرف السلطة الاستعمارية الفرنسية.

2- نسبه:

هو الشيخ حمو بن موسى بن الحاج محمد بن موسى بن كاسي بن موسى بن محمد بن موسى بن محمد بن سعيد بن أحمد بن الشيخ صالح بن الشيخ عمي سعيد الجربي القادم من جزيرة جربة التونسية لإحياء العلم بوادي ميزاب في القرن التاسع للهجرة.

3- حياته العائلية:

نشأ شيخنا في أسرة فلاحيّة متواضعة بين أحضان والديه العفيفين الورعين :
أبوه الفاضل الأجد موسى بن الحاج محمد عمي سعيد من عشيرة آل بالحاج.
وأُمّه التقية الورعة عائشة بنت بهون الحاج سعيد من عشيرة آل انشاشبة.
تزوج الشيخ في سن مبكرة من البرة الفاضلة الكريمة : لالة بنت قاسم بن موسى بلعديس ، أحد وجهاء بلدة غرداية في وقته ، من عشيرة آل يونس.
وقد أنجب الشيخ حمو من زوجته المذكورة عدة أولاد كتب الله بالحياة لثلاث بنات هن : مسعودة ، بزّانة ، مريم.

وكانت زوجته -حفظها الله ورعاها وأمد في أنفاسها- العضد الأيمن له في درب مسيرته الجهادية الطويلة ، بما وفرت له من أسباب الراحة والسكينة في بيته ، فكان يجد عندها الأُنس والبهجة بما امتازت به من روح خفيفة في الدعابة والمرح ، خاصة عندما تشتدّ عليه الظروف وتقسو فتوحشه بفعل ضغوط المهام الجسيمة ، فتخفف عنه من وقع صدماتها فتعيد إليه الإرادة والعزيمة ، وكان -رحمه الله- يعترف لها من حين لآخر بالتقصير فيطلب منها الحل والمساحة مقدرا ومتفهما ضجرها وعتابها عليه لكثرة مشاغله وغفلته عن حقها وحق العائلة أحيانا ، ولكن أسباب المودة التي مزجت بين رويهما بقيت أقوى من أن تهزها الظروف الطارئة التي اعترضتها في كثير من الأحيان ؛ وصدق في رفيقة دربه الحكيم القائل : "فتش وراء كل عظيم تجد امرأة عظيمة".

4- نشأته العلمية:

على عادة أهل البلد لما بلغ الشيخ حمو عمي سعيد سن الدراسة أدخله أبوه في وقت مبكر المحاضرة⁽¹⁾ "محاضرة عمور"، حيث شرع في حفظ القرآن الكريم واكتساب مبادئ اللغة العربية، وفق الطريقة التقليدية التلقينية، وأمام ضغط الحياة وظروف عمل أبيه الفلاحية كان ينقطع عن المحاضرة في مواسم الحصاد وجني التمور، ولكنه لم يكن يتخلى عن حصص حفظ كلام الله، فيأخذ لوحته القرآنية فيدارس الأقسام المقررة، ويتردد إلى الشيخ في المحاضرة لاستظهار ما حفظ، حتى أتم حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب. وبعد أن شبّ قليلاً وتجاوز مرحلة الطفولة أخذ يقصد مجالس الذكر وحلقات العلم متأثراً بجده لأمه الشيخ بهون بن موسى الحاج سعيد "آت موسى"، الذي كان من علماء البلد وفقهائه آنذاك، فلم تمنعه تكاليف عمله الفلاحي في ذلك العهد من إشباع نهمه من العلم والمعرفة فيما تبقى من النهار وقسط من الليل، فكانت المطالعة من أفضل الهوايات المحبوبة لديه.

وقد اعتمد الشيخ إلى حد كبير على نفسه في تحصيل العلم، خاصة في جانب علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، فحفظ متن الأجرومية لابن أجروم الصنهاجي (ت: 723هـ)، ومنظومة الألفية لابن مالك (ق 8هـ) ولائمة الأفعال له كذلك، وغيرها.

أما شروحها فقد أخذها عن مشايخ نابغين كانوا يتخذون من بيوتهم مهلاً لرواد العلم وطلابه فارتوى منهم علماً كثيراً.

5- أبرز مشايخه:

- أخذ الشيخ حمو عمي سعيد العلم عن عدة علماء ومشايخ منهم:
- الشيخ بابا بابكر الذي درس عنده الفقه واللغة.
- جده من أمه بهون بن موسى الحاج سعيد⁽²⁾، الذي درس عنده الفقه خاصة.
- الشيخ عبد العزيز المليكي: الذي درس عنده اللغة العربية والبلاغة والمنطق.
- وتلمذ على مشايخ آخرين لفترات متقطعة وقصيرة، أمثال: أحمد بن عيسى قزريط⁽³⁾، بكير بن عمر موسى وعلي⁽⁴⁾، والشيخ عيسى مشماش⁽⁵⁾، والشيخ جمعة بالة⁽⁶⁾، أحد تلامذة القطب أطفيش

1 - المحاضرة هي كتاب تابع لأوقاف المسجد وهاكله، يدرس فيها معلم القرآن ويسمى بقيقه المحاضرة، ولروادها المنتسبين إليها مهام اجتماعية أخرى ضمن ما يسمى بمهنة "إمصوردان". وعلى مستوى بلدة غرداية توجد ثلاث محاضر وهي عمور وساسي وبلحسن، إضافة إلى محاضر فرعية خاصة بتدريس الناشئة فقط، مثل بهون وعلي وباسعيد وعلي.

1 - الشيخ بهون بن موسى بن صالح الحاج سعيد، تُعرف عائلته بغرداية بعائلة "آت موسى"، هو من رجالات العلم والتعليم بغرداية، عاش بين نهاية ق 19 وبداية 20م، أخذ العلم عن القطب أطفيش؛ ثم فتح داره للتعليم والإرشاد الديني. كان من الأعضاء البارزين في منظمة "إروان". تعرّض لمضايقات من بعض الجهلة كانت السبب في انعزاله عن المجتمع.

رحمه الله و محمد العماني وقد أشار الشيخ حمو إلى أنه يَكْنَى بالشيخ العماني خطأ وهو أصلا من جربة.

- الشيخ الحاج يوسف بافولولو⁽⁷⁾: وقد تفرغ للدراسة عنده بعد موت أبيه زمنا طويلا مع ثلثة من الرفقاء، منهم: بكير بن يحيى تحكوييت، وحمو بن إبراهيم تامتلت، وغيرهم.

ثالثا: أدوار الشيخ في الجانب الديني الدّعوي:

أ. انخراطه في سلك نظام العزابة:

في سنة 1957 م، التحق بحلقة العزابة بعد إلحاق المسؤولين بالانضمام إليها، بسبب حاجة الأمة إليه لأجل نشر العلم وبث الوعظ الإرشاد، والتصدي لفتوى المسائل التي تمس إليها الحاجة. وبعد أربعة أشهر من تاريخ انضمامه للحلقة كلف من قبل الحلقة بإمامة الصلوات في المسجد خلفا للشيخ الحاج محمد بابا وموسى (ت1394هـ / 1974م) الذي رقي إلى مرتبة شيخ الحلقة.

ب. تولى الشيخ حمو بمسؤولية الإمامة للصلوات الخمس والتراويح في رمضان وصلوات الأعياد. كما قام بمهمة الوعظ والإرشاد في المسجد العتيق ومصليات الواحات صيفا حيث كان يلقي دروسا منتظمة.

كان الشيخ يقوم بإلقاء هذه الدروس عبر أيام محددة من الأسبوع بين صلاتي المغرب والعشاء، وفي أيام رمضان بين صلاتي الظهر والعصر وبعد التراويح، وكانت مواضيع هذه الدروس تدور في العقيدة وتزكية

2 - الشيخ أحمد بن عيسى قزريط (ت1352هـ/1933م) من تلاميذ قطب الأئمة الشيخ احمد اطفيش وحريجي جامع الزيتونة بتونس، وهو من مشايخ حلقة العزابة بغرداية، اشتغل بالقضاء في المحكمة الإباضية بقسنطينة ثم بغرداية .

3 - الشيخ بكير بن عمر موسى وعلي(ت1376هـ/1957م) عالم وفقه من مدينة غرداية، أخذ العلم عن قطب الأئمة الشيخ احمد اطفيش، وهو من مشايخ حلقة العزابة بغرداية، يعرف في الأوساط بـ "الحاجُ بَكِيرٌ تُعَزَّبَتٌ" نسبة إلى والدته العالمة مامة بنت سليمان بياز.

4 - الشيخ عيسى مَشْمَاشٌ من حملة كتاب الله تعالى الذين نذروا أنفسهم للتعليم ونشر العلم بمدينة غرداية، كان عضوا في منظمة "إروان"، ولزم كثيرا حلقات الشيخ يوسف بن إبراهيم بافولولو حيث أخذ عنه العلم، توفي في النصف الأول من ق20م.

5 - الشيخ جَمَّة بن عبد الله بَالُه من رجال العلم والفقه والفتوى بغرداية في النصف الأول من ق20م، أخذ العلم عن القطب اطفيش، وكان عضوا في منظمة "إروان"؛ اضطلع بتدريس علوم الشريعة من فقه ولغة في مدرسة المسجد ناحية "تاجوين" حين كانت في أطوارها الأولى.

1 - الشيخ يوسف بن إبراهيم بن بكير بن يعمور بافولولو من علماء غرداية، اشتهر في الأوساط بـ "الحاجُ يوسفُ أنُ بَعْمُورٌ"، أخذ العلم عن ثلثة من تلاميذ القطب اطفيش منهم الشيخان حمو باباوموسى ويهون فحار، وبصفة خاصة ومستمرة عن الشيخ إبراهيم بن أبي بكر حفار في القرارة قبل رحيله إلى بني يسجن؛ بعد ذلك فتح معهدا لتدريس العلوم الشرعية بغرداية وأشرف فيه على حلقاته العلمية في التفسير والفقه واللغة العربية، وتخرج منه كثير من رجال المجتمع. توفي يوم 15 صفر 1400هـ/ 03 جانفي 1980م.

النفوس وأبواب الفقه العامة من طهارات وصلاة وصوم، أما دروس أحكام الزكاة والحج فكانت في مواسمها.

كما كانت له دروس تمس الجوانب الاجتماعية والأمور العامة والتربية، وتقدم هذه الأخيرة في ليالي الجمع والأعياد ومناسبة الأفراح والأقراح والاحتفالات المدرسية، وقد بقي الشيخ يلقي تلك الدروس دون ملل أو كلل أو تراخ أو انقطاع، إلا لضرورة سفر أو مرض، لمدة تفوق ربع القرن. خصائص دروسه الوعظية:

تتميز دروس الشيخ حمو عمي سعيد بخاصتين هما:

* صدق اللهجة في الخطاب، فقد كان يعظ بحرقة وغيره منقطعة النظر، متفاعلا مع الموضوع، خاصة إذا كان الأمر متعلقا بأمر معروف أو نهى عن منكر، فكم من مواقف مؤثرة بكى فيها وأبكى معه رحمه الله.

* تبسيط المفاهيم لعامة الناس باختلاف مستوياتهم وقدراتهم، بامتلاكه رصيذا معتبرا من مفردات اللهجة المحلية الميزابية.

رابعا: أدواره في الجانب التربوي التعليمي:

رأى الشيخ -رحمه الله- أن دروس الوعظ والإرشاد لم تحدث التغيير المنشود في المجتمع، فلا بد من نهضة دينية علمية تربوية، تمس الناشئة -بنين وبنات- التي هي أمل الأمة في مستقبلها المنشود، لتكون في مستوى تحديات العصر الذي تعيشه.

لذا قرّر الشيخ حمو عمي سعيد مع ثلة من الخيرين من إخوانه في حلقة العزابة، منهم بالخصوص الفاضلان الحاج داود بن قاسم حواش (ت1410هـ/1990م) والحاج عمر بن بابيه طباط (ت1397هـ/1977م)، إنشاء مدرسة قرآنية عصرية، استقدم لها معلمين أكفأ كانوا النواة الأساسية لها؛ ومن أوائل هؤلاء حسب ما يذكره الشيخ حمو نفسه وغيره من عاش تلك المرحلة: الحاج عيسى فخار، الحاج محمد عطفراوي، الحاج عمر الزعبي، الحاج محمد بوكرموش، الحاج حمو الزعبي، وانطلق المشروع على بركة الله في سدة (لعلي) ناحية (تاجوين) مع بداية السنة الدراسية 1377هـ/57-1958م.

وأشرف على توسيعات المشروع بإقامة بناية في "الدروب" على أنقاض محضرتين هما "بهون واعلي" و"باسعيد واعلي" شهر نوفمبر سنة 1961م، ثم في "بابا السعد" في أوائل 1971م، نظرا لتزايد عدد التلاميذ. وقد تولّى الشيخ تسديد رواتب أولئك المعلمين من حسابه الخاص لسنوات عديدة إيماننا منه بحتمية المشروع وضرورته، حسب شهادة هؤلاء أنفسهم.

وبعد أن اكتملت المرحلة الابتدائية وتخرجت دفعات عديدة من التلاميذ، قرر الشيخ حمو عمي سعيد ورفقاؤه من أعضاء إدارة التعليم⁽⁸⁾ إضافة المرحلة المتوسطة، نظرا لتسرب أغلب أولئك المتخرجين إلى الحياة العملية دون اكتسابهم الرصيد الكافي من العلوم الشرعية بما يؤهلهم لخلافة العزابة في مهام إمامة المساجد، والوعظ والإرشاد والإفتاء فيما تمس إليها الحاجة من المسائل.

فافتتح المعهد بتوفيق من الله في 04 رمضان 1393هـ / الفاتح من أكتوبر 1973م.

ونجح المشروع بفضل الله تعالى وتكاتف جهود الأساتذة ودعم المحسنين المادي، مما شجّع الإدارة على إضافة المرحلة الثانوية، مع إنشاء بناية مستقلة بالمعهد ناحية "باعيسى اوعلوان" المقر الحالي له خلال السنة الدراسية 1977/76م.

ومن ذلك الحين والدفعات تتوالى بنجاحات مطردة⁽⁹⁾.

وأضيف للمشروع ابتداء من السنة الدراسية 1989/88م "قسم التخصص في العلوم الإسلامية" الذي توجّج مراحل التعليم المنتظمة، ولهذا القسم أكبر الأثر في تزويد الهيئات الدينية لقصور الوادي وبلدة غرداية خاصة بمرشدين أكفاء ومتخصصين، قدّموا بحوثا شرعية هامة مختلفة في قضايا معاصرة، ويتولّى الكثير منهم الإمامة والوعظ والإرشاد في المساجد.

وقد تعهد الشيخ حمو عمي سعيد كل هذه المشاريع التعليمية والعلمية والتربوية التي أصبحت تنتظم تحت اسم "مؤسسة الشيخ عمي سعيد" بنفسه رفقة إخوانه، وقد أنفق فيها جهده وفكره وماله طوال عمره؛ وقد كتب الله أن تتمّ في حياته لتقر عينه بنجاح مجهوداته التي أينعت ثمارها بفضل الله وإخلاصه وإخلاص المخلصين معه من خيري الأمة، و{إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} ⁽¹⁰⁾.

خامسا: أدواره في الجانب الاجتماعي:

أ - أمانة أمناء السيل والعرش⁽¹¹⁾: تولّى الشيخ حمو مسؤولية هذه المنظمة فأعطى لها نفسا جديدا وحركية بعد أن طعمها بعناصر بشرية مؤهلة، فأحدث غمطا جديدا في تسييرها بما يلائم العصر، وزوّد بها بوسائل عمل متطورة. ومن أهم أعماله على رأس هذه الهيئة ما يلي:

1 - منهم آنذاك السادة الحاج داود بن قاسم حواش، الحاج عمر بن بكير بوكرموش، الحاج عمر بن بابا طباخ، الحاج علي بن عمر بابا عيسى، الحاج عيسى

فخار، الحاج إبراهيم بن حمو بغباعة، الحاج عيسى صالح كيوكيو، القاضي علي بن بكير باعلي وعمر، الحاج صالح بن صالح الحاج سعيد.

2- نتائج أول دفعة من متخرجي شهادة الأهلية للتعليم الأصلي كانت باهرة، إذ سُجّلت نسبة 100 بالمائة بمشاركة 78 مترشحا، وكذا نتائج شهادة البكالوريا

للتعليم الأصلي في الشعب الثلاث كان نجاح المعهد فيها بنسبة 87 بالمائة.

1 - التوبة: 120.

2 - هيئة الأمناء هي أحد فروع التنظيم الاجتماعي بوادي ميزاب، وهي هيئة متخصصة تضم خبراء مختصين في مراقبة شؤون السيل والبناء والحفاظ على القوانين التي

تنظمها. بمقتضى الأعراف المعمول بها والحفظة جيلا عن جيل.

1. تهيئة سد "بوشن" ليكون أكثر نفعا، وذلك بإنجاز خدمات فيه تجعله أكثر تخزينا للمياه، لرفع منسوب المياه الجوفية لواحة غرداية ووحدات وادي ميزاب كله.

2. حفر بئرين في وسط سد بوشن لضمان نفوذ مياهه إلى الطبقة الجوفية.

3. تجهيز سد "بوشن" ببوابات آلية حديثة لجرف التربة المتراكمة فيه، وحتى يتسع لأكبر كمية من المياه.

4. تزويد السد الجديد المسمى "أحبّاس أجديد" ببوابات آلية لنفس الغرض.

5. إقامة جدار واق للطريق الواصل بين رأس الواحات والشعبة وبوشمجان الممتد على طول الحافة الجنوبية لسد بوشن.

6. تحديث أبواب (منافذ) لساقية "بوشمجان" للتحكم في تصريف المياه نحو الأقسام الثلاثة للساقية والتي تسمى: بانوح، الوسط، الشعبة.

7. إعادة ترصيف بعض الأزقة التي يسيل فيها الغدير كلما تعرّضت للتلف.

ب - وكالة أوقاف آل عمي سعيد: تشرف عائلة عمي سعيد بغرداية على جملة من أوقاف وتقوم بشؤون نظارتها، وعلى رأس هذه الأوقاف مقبرة الشيخ عمي سعيد، ومن أعماله المشهودة في هذا المجال بمساعدة المجلس العائلي كما جرت العادة في تسيير الأوقاف نذكر ما يلي:

1. ضبط وجرد عام لأوقاف عمي سعيد حفظا لها من التلف والضياع.

2. تسوير مقبرة الشيخ عمي سعيد وتحصينها حفظا لحرمة أموات المسلمين من تعديات الجهّال وأضرار الحيوانات.

3. إنشاء مشروع القرن "مقبرة عمي سعيد الجديدة" بناحية "عوقبة"، إذ رأى الشيخ حمو بعد انحسار مساحة أرض القبر في مقبرة عمي سعيد القديمة.

وباعتبار أن مقبرة عمي سعيد من المقابر العمومية وجب تعويضها بإنشاء مقبرة جديدة وكبيرة تفكّ الخناق عن مقبرة عمي سعيد وغيرها من المقابر القديمة بالبلدة مستقبلا.

فبدأ مع عمه سعيد بن محمد عمي سعيد وموسى بن محمد عمي سعيد إجراءات البحث من أجل توفير الأرض، فتمّ اختيار منطقة "عوقبة" لخلوّها من السكان وتوفرها على أراضي شاسعة صالحة للدفن.

ج - إسهامات الشيخ في مساجد ومشاريع أخرى:

1. تسوير مقبرة الشيخ بالحاج داود وتحصينها صيانة لقبورها من جرف مياه الساقية.

2. تحصين مقبرة شهداء "إمحرّاص" حفاظا على حرمة أموات المسلمين.

3. الإشراف مع الوكيل الحاج داود حواش على توسيعات المسجد الكبير التوسيع الذي شمل الناحية الشرقية (أين ينعقد مجلس تلاوة ثمن السوايح)، والتوسيع الأخير الذي شمل الناحية القبلية والشرقية في منتصف الثمانينات من ق 20م.
4. الإشراف على توسعة مسجد حي "بوشمجان" بالوحدات والقيام بتجديد مرافقه.
5. دعم المشرفين على إنشاء مسجد حي "إغوزة" والمساهمة في نظام تسييره.

سادسا: مساهمة الشيخ في الثورة التحريرية:

شارك الشيخ حمو عمي سعيد مشاركة فعالة في الثورة بحكم منصبه الحساس كإمام للمسجد الكبير بغرداية. إذ كان يجتمع بصفة دورية ومنتظمة بمسؤولي الثورة التحريرية في المنطقة لمتابعة المستجدات والتنسيق معهم وتلقي التعليمات بما يدعم الكفاح المسلح؛ ومن أهم المراكز التي كان الشيخ يداوم على الحضور إليها دار المجاهد إبراهيم حمودة بجواشة.

وللشيخ مواقف مشرفة تعكس رباطة جأشه وإقدامه المتزن وحنكته في الأدوار التي كان يؤديها خلال سنوات الجمر من الثورة.

فقد استطاع إقناع مسؤولي النظام الثوري في المنطقة بعدم خوض أية معركة وسط المدينة حتى تبقى المنطقة آمنة للثوار مسبلين وفدائيين، يأوون إليها ويجدون فيها الطمأنينة والهدوء لمدارسه أمورهم وتقييم أعمالهم واتخاذ القرارات المناسبة والحاسمة بعيدا عن أعين جواسيس الاستعمار المبتوثين هنا وهناك.

وقد استحسنوا فكرة الشيخ وأثبت الواقع أنها صائبة، فلم تصدر من داخل المدينة أية وشاية عن فدائي أو مسبل آوى إليها وحُضِنَ داخلها.

كما كان الشيخ يشرف على عملية جمع الأموال لصالح الثورة بصفة منتظمة مع تمويه الغاية التي كانت تُجمع لها كوقاية وتحفظ.

أما بالنسبة لمساهمته الشخصية في الدعم المادي للثورة فقد خصّص ثمن محل تجاري كامل مع أحد شركائه لصالحها.

وقد ذكر لي الشيخ أنه كان يقوم بمهمة خطيرة لفائدة الثورة وهي جمع المعلومات من العدو الفرنسي بحكم استدعائهم له بصفة دورية، فكان يستغل تلك الاجتماعات لترصد مخططاته ضد الثورة والثوار ويبلغها للمسؤولين على نظام الثورة في المنطقة في حينها، ففي إحدى المرات حامت حوله والحاج داود حواش شبهة التعاون مع الثورة، فاستدعيا إلى ورقلة من طرف السلطات الاستعمارية العسكرية وتعرضا لاستنطاق شديد

ولكن لطف الله بهما كان كبيراً فلم تثبت عنهما التهمة وإلاّ كانا سيتعرضان لعقوبة لا تقل عن الإعدام حسب منطوق القوانين الصارمة المعمول بها آنذاك.

ملاحظة هامة:

اعترف الشيخ لكثير من معارفه وأقربائه بأن وقع سنين الثورة كان شديداً عليه بحكم دوره الحساس والدقيق خاصة في مراحلها الأخيرة.

سابعاً: مواقف مشهودة ومؤثرة في حياة الشيخ:

لقد اعترضت الشيخ حموا أثناء تأدية مهامه عبر مسيرة حياته الجهادية الطويلة مصاعب جمّة ومشاكل عويصة، تصدّى لها بحزم وثبات ورباطة جأش قلّ نظيرها، من أشهر ما عرف عنه من تلك المواقف ما يلي:

أ. اعتراض حاكم غرداية في العهد الفرنسي على شق طريق سيارات وسط مقبرة عمي سعيد، تصل مدخل مدينة غرداية "بوهراوة" بوسطها، وقد قدّم الشيخ وجهة نظر الإباضية في حرمة انتهاك قبور أموات المسلمين مدى الدهر، وبعد نقاش وسجال شرعي وقانوني وفق الشيخ إلى إقناع الحاكم فتراجع عن قراره، ولم يطمئن الشيخ -رحمه الله- حتى تعهّد له الحاكم بأن المقبرة لن تمسّ وسوف تبقى كذلك إلى يوم القيامة.

ب. اعتراض على بعض ذوي النوايا السيئة من المسؤولين المحليين الذين كانت لهم أطماع في استغلال سد "بوشن" لغير ما أنشئ له، بتحويله إلى "مستصلحة فلاحية للزيتون".

ج. تحدي تنفيذ القرار الجائر وأحادي الجانب في توسيع طريق على حساب مسّ حرمة شهداء مقبرة "إمحرّاص" وربحه المعركة بإلغاء الفكرة والقرار نهائياً.

د. سعيه الحثيث في إبرام صلح 1382هـ/1962م الشهير الذي مكّن الهيئة الدينية في المسجد الكبير "العزّابة" من تأدية دورها المؤثر في المجتمع، وأعطى المدينة عهداً من الاستقرار النسبي وظهر أثره على مستوى العشائر والمحاضر والأمناء، بأن لمّ شمل الخيرين من المصلحين والمحافظين، ووجد جهودهم وطاقاتهم في مصلحة الدين والوطن بشهادة عقلاء الأمة ومنصفها.

هـ. قيامه بمهمّة لمّ الشمل بين المتساكنين في لجنة الصلح الشهيرة التي شكلها والي ولاية غرداية، بعد أحداث 17 رمضان 1405هـ/60 جوان 1985م المؤسفة.

ومن ذلك تنقله الشّجاع في معمرة الأحداث بين مساجد المتساكنين وإلقاء كلمات مؤثرة، حيث كان لها الأثر الكبير في التخفيف من حدة الاحتقان والتوتر الذي كان على أشده والذي كاد أن يؤدي إلى عواقب أَوْحَم.

ثامنا: صفات الشيخ وخصاله:

❖ رُزق الشيخ حمو عمي سعيد صفات ربّانية جعلت منه مثالا لبقية السّلف الصّالح تقوى وورعا وزهدا، شهد له بذلك كل من عاشره أو اتصل به من قريب أو بعيد، وقد بوّاه ذلك مكانة مرموقة في المجتمع أكسبته هيبة ووقارا واحتراما.

❖ كان الشيخ شديد التمسك بمبادئ الدين والدعوة إليه قولاً وعملاً، وكان محباً للمسجد وزوّاره.

❖ شهد للشيخ حمو بجسارته في إعلاء كلمة الحق خاصة إذا تعلق الأمر بأمر بمعروفٍ أو نهى عن منكر من خلال محاربته للبدع والآفات الاجتماعية التي بدأ بعضها يبرز بين أفراد من المجتمع، فقام مشتتاً عليهم منذراً إيّاهم دون هوادة، غير عابئ في ذلك بلومة أي لائم، يستوي عنده في ذلك ذو المكانة والبسيط من الناس.

❖ عُرف الشيخ حمو بإخلاصه وتفانيه في العمل من أجل الصالح العام، تجسّد ذلك بجلاء في مختلف المهام والمسؤوليات الجسام التي اضطلع بها، يصدر في كل ذلك عن وعي وإيمان راسخين مضحيا من أجل ذلك بنفسه وماله ورأيه ووقته، وأحيانا حتى بمصالحه الشخصية والعائلية، شعاره في ذلك "مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد".

❖ انّصف الشيخ حمو بالحلم والتجاوز عن كل من ناوأه أو خاصمه أو عارضه، منطلقه في ذلك الآية الكريمة: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} ⁽¹²⁾.

❖ امتاز الشيخ حمو بالحنكة والرزانة والتأني وسعة الصدر في تسيير أمور الهيئات التي أشرف عليها وضبطها، مراعي الفروق الفردية في نفوس الشخصيات التي تعامل معها من خلالها، فنال بذلك ثقتها واحترامها وضمن إبداعها فيما أسند لها من أعمال حسب كفاءاتها وقدراتها.

❖ عاش الشيخ حمو حياة بساطة وتواضع في مشربه ومطعمه ومسكنه ومركبه كما نشأ أول أمره، واستمرّ على ذلك إلى أواخر حياته فلم يهتم بزخارف الدّنيا وبهرجها رغم تمكّنه من المال اللازم لذلك، زهدا لا عجزا.

* المسؤوليات والمهام التي تولّاها الشيخ:

1. إمامته للمسجد الكبير بغرداية منذ سنة 1376هـ/1957م، ثم توليه مشيخته منذ سنة 1394هـ/1974م مع التصدي لمهمة الوعظ والإرشاد فيه وفي المساجد الملحقة به.
2. عضويّته في مجلس عمي سعيد.
3. نيابته رئاسة مؤسسة الشيخ عمي سعيد وعضويّته في إدارتها.

4. رئاسته منظمة أمناء السيل والعرش بغرداية "لَا وَمَنْهُ" المكلفة بمراقبة وتسيير أمور الأودية والسيول ومراعاة أعراف البناء والعمران المتعارف عليها في المنطقة.
5. وكالته على أوقاف آل عمي سعيد.

* عجز الشيخ ووفاته:

هكذا بقي الشيخ حمو عمي سعيد مستمرا في جهاده الدؤوب الدعوي والتربوي والاجتماعي ، لا تشني من عزيمته الفلاذية وإرادته الصادقة الصعوبات ولا العراقيل التي كانت تعترض مساره الحافل بالمواقف والمنجزات لصالح الدين والمجتمع والوطن.

ولكنَّ ضرورات الكبر والشيخوخة من وهن وضعف وثقل السنين بما حملته من أعباء ورزايا بدأت تترك آثارها على مجمل قوى الشيخ الجسمية والنفسية والإدراكية ، حيث أسلمته بالتدريج إلى أزمة نفسية عصبية حادة منذ منتصف الثمانينات جعلته يتخلى شيئا فشيئا عن مهامه وأنشطته المختلفة حتى اعتزل المجتمع نهائيا سنة 1987م.

وقد حاول بعض من أفراد عائلته الغيورين على كرامة أبيهم العائلية والاجتماعية التي رأوا أنها لا تقبل المزايدة والمساومة من أحد بصفته الأب الروحي للعديد من الهيئات على رأسها حلقة العزابة الموقرة ، أن يُبقوا له جواً يخفف عنه من وطأة تلك الأزمة النفسية بتخصيص حصص من حلقات المطالعة في بيته - هوايته المفضلة - التي كان يجد فيها بعض الأنس والراحة والفسحة.



هذا كل ما استطعنا أن نلخصه لكم من جوانب حياة شيخنا وأبينا الروحي ومواقفه -رحمه الله- وطيب ثراه أداءً منا لبعض حقه علينا وعلى الأمة ، تبصيرا لأجيالنا الصاعدة بماضيهم الزاخر بالرجال الذين حملوا هم الدين والأمة والوطن ونذروا أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك دون تفريط أو تراخ حتى أتاهم اليقين ، فكانوا بحق كما عبّر عنهم الله عز وجل : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾⁽¹³⁾.

فعلينا أن نتخذهم الدليل والنبراس ونستلهم من سيرهم العطرة تلك العبر والدروس ، معتبرين أنّ الفضل للمتقدم والمبتدئ وإن أحسن المقتدي.

كما يجب أنم نعلم أن لا مستقبل لأمة إن هي بترت نفسها أو بُترت من ماضيها كالشجرة التي إن قطعت من جذورها ذُبلت وماتت ، وقد يكون تقلييمها من حين لآخر أمر ضروري للزيادة في نموّها وعطائها ، فالحاضر إخواني غرس الماضي والمستقبل غرس الحاضر وكل يخدم الآخر.



وهكذا لكل بداية حي نهاية والدوام والبقاء لله وحده ، ففي ظهر يوم الثلاثاء 21 ذو الحجة 1425هـ / 01 فبراير 2005م ، جاء الوعد المحتوم الذي لا راد له فأسلم الشيخ نفسه المطمئنة لبارئها عن عمر يناهز القرن من الزمن.

فاللهم ارحمه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانك ، وتقبّله مع أوليائك الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.
واجعلنا على إثرهم سائرين متبعين لا مبتدعين ولا متأولين ،
آمين والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته